تاريخ الفلسفة
ميتافيزيقا أرسطو 1 -10
بقلم الدكتور آرثر هولمز من كلية ويتون

إن مفهوم أرسطو للسببية أكثر تعقيدًا بكثير من مفهومنا .فما نسميه عادةً سببًا هو في الواقع قوة مؤثرة تُنتج نتيجة .فما الذي يجعل كرة البيسبول تطير، سوى القوة التي يبذلها اللاعب الذي يضربها؟ ما الذي يُسبب شيئًا ما، ونحن نفكر فيه من منظور قوة ذات قدرة سببية على إحداث نتائج؟ أرسطو غير مقتنع بهذا.

ما نسميه قوة، يسميه هو ببساطة السبب الفعال .فعال لأنه له آثار .وله فعالية بهذا المعنى.

لكن من الواضح أنه إذا أردنا تفسير النتيجة النهائية لأي عملية، سواء أكانت عملية طبيعية أم ناتجة عن فعل بشري، أو عن قطعة أثرية، أو أي شيء آخر نحاول تفسيره، فإن نوع المادة المستخدمة وطبيعة المادة المتأثرة لهما أهمية سببية .لذا فهو يتحدث عن السبب المادي .فإذا كنت تنحت شيئًا من الخشب، ستكون النتيجة مختلفة عما لو كنت تحاول نحته من الحجر.

تُحدث المادة فرقاً، وكذلك العمل الذي يقدمه النحات .لذا فهذان نوعان من الأسباب على الفور.

لكنني قلت للتو إنه يتعامل مع الشكل كما يتعامل مع السبب .نوع آخر من الأسباب .يسميه السبب الشكلي.

بمعنى آخر، فإن الطبيعة الجوهرية للشيء المُنتَج حاضرة .فإذا كنا نتحدث عن عملية نمو حبة البلوط تدريجيًا لتصبح شجرة بلوط، فإن حبة البلوط لها شكلها، وهو الشكل الكامن في حبة البلوط، وهذا السبب الجوهري، كما ترى.

ولو لم تكن من طبيعة حبة بلوط، لما أنتجت شجرة بلوط .لذا، لا بد من وجود سبب رسمي إضافي .لكنك تلاحظ أن طبيعة النتيجة تعود إلى الإمكانات الكامنة في الشيء الذي بدأ به.

لذا، فإن طبيعة السببية الرسمية تنطوي على نوع من التوجه نحو الغايات .توجه نحو الغايات .وهو يسميه إمكانية .

قوةٌ لشيءٍ ما .والنتيجة هي أنه بالإضافة إلى الحديث عن طبيعة الشيء، يُضيف أرسطو نوعًا رابعًا من العوامل السببية، ألا وهو السبب النهائي.

الغاية أو الهدف .الغاية المنشودة .الغرض.

وتتداخل هذه العوامل الأربعة جميعها .فإذا كنا نتحدث، على سبيل المثال، عن النحات الذي ينحت شيئًا من الحجر، فقد استخدمتُ هذا المثال سابقًا لأوضح وجود سبب فاعل، وهو عمل النحات في النحت، وسبب مادي، وهو الحجر وليس الخشب .أما السبب الشكلي، فنعم.

الأمر الأساسي الذي ينطوي عليه الأمر .شكل أي شيء سيكون عليه .إذا كان تمثالاً، على سبيل المثال، للمفكر.

هل رأيتَ تمثال رودان، "المفكر"؟ إذن، من المفترض أن يكون له شكل المفكر .جوهر المفكر مُجسّد، على الأرجح، في وضعية الشخص .ولكن ليس الشكل فحسب، بل الغاية من وراء ذلك.

.لماذا هذا التمثال؟ لتزيين البارثينون .وهذا سيؤثر على النسب المطلوبة، وعلى زاوية الرؤية اللازمة

وهكذا دواليك .وينطبق الأمر نفسه على العمليات الطبيعية كما ينطبق على المصنوعات .وهو يجد دائماً .هذه العوامل السببية الأربعة فاعلة عندما يتحدث عن التكاثر، على سبيل المثال

السبب المادي هو جسد الأم .والسبب الفاعل هو الأب .أما السبب الصوري فهو الطبيعة الجوهرية للأب .الذي سيحمله الطفل

إذن، الغاية النهائية هي إنجاب ذرية تشبه آباءهم تمامًا .وهذا ليس مصطلح أرسطو تحديدًا، ولكنه المعنى .المقصود .وهكذا، كما ترى، لديك أربع غايات

لاحظوا مجدداً ذلك النوع من النظرة الذكورية المتحيزة ضد المرأة التي ظهرت في العصور القديمة .فالمرأة .هنا مجرد أداة مادية .لقد قطعنا شوطاً طويلاً، كما آمل

إذن، هذه هي الأسباب الأربعة .انتبهوا لهذا الأمر في جميع مناقشاته .في الواقع، إذا كنتم قد قرأتم الكتاب الأول من كتاب الميتافيزيقا، بعد الفصلين الأولين اللذين علقنا عليهما في المرة الماضية، ستلاحظون أن ما يفعله في تعليقه على أسلافه، وهو موضوع الكتاب الأول، هو توضيح الطريقة التي كان بها الفلاسفة الأوائل .قبل سقراط يفكرون فقط في الأسباب المادية

.سؤالهم هو :ما هي الأشياء الأساسية؟ أشياء .مادة .قال طاليس :الماء

.قال أناكسيمين الهواء .هيراقليطس، النار .إمبيدوكليس، الأرض، الهواء، النار، والماء

.جميعهم يتحدثون عن الأسباب المادية .كما ترى .أوه، تبدأ الأسباب الفعالة بالتدخل في الأمر

،خاصةً عندما نصل إلى شخصية مثل إمبيدوكليس، الذي يتحدث عن الحب والكراهية كقوتين محركتين تخلقان النتيجة الدورية .وهناك تلميح، بالفعل، إلى السببية الشكلية، غير الواضحة، ولكنها متوقعة في كتاب .لوغوس "لهيراكليتوس، وكتاب "حبل المشنقة "لأناكسغوراس"

.العقل .أعداد فيثاغورس .وبالطبع، بلانو

لكن طريقته هذه كانت بمثابة طريق مسدود .ولذا، يعترض أرسطو على أفلاطون، وعلى فيثاغورس الذي يعتبره مصدرًا لكثير من أفكار أفلاطون في هذا السياق .لذا، فإن نقاشه، كما ترى، حول أسلافه موجهٌ بالكامل .في هذا الاتجاه

أحد الأمور التي يدّعي أن أسلافه لم يكونوا واضحين بشأنها هي ضرورة الغاية النهائية .ربما توجد إشارة إلى ذلك في كتابات أناكسغوراس .نعم، يبدو أن شكل الشيء، أو جوهره، عند أفلاطون، يشير إلى وجود شيء .يمثل خيره الطبيعي

يتجلى ذلك بوضوح في تناول أفلاطون للنفس البشرية .لكن ليس من الواضح أن لكل عملية، سواء في الطبيعة أو في النشاط البشري، ولكل نوع من العمليات، غاية نهائية .ويرى أرسطو أن هذا التأكيد هو إسهامه المميز في .المخطط الميتافيزيقي المتطور حتى الآن

،تقديم الغايات النهائية .الآن، يمكنك ملاحظة ذلك إذا ألقيت نظرة على ما لدينا في المختارات .إذا نظرت .على سبيل المثال، إلى الصفحة 300، ستجد أن تعليقه على أسلافه يبدأ بتعداد هذه الغايات

الفصل الثالث، بدءًا من أسفل العمود الأول في الصفحة 300 .من الواضح أنه يتعين علينا اكتساب معرفة .بالأسباب الأصلية أو المبادئ الأولى .وتُذكر الأسباب بأربعة معانٍ

في أحد هذه المصطلحات، نعني الجوهر أو الأساس .وفي مصطلح آخر ، المادة أو الطبقة التحتية .وفي .مصطلح ثالث، مصدر التغيير

في رابعًا، سببُ الطرف المقابل لهذا هو الغاية .الخير، الغاية لجميع الأجيال، والتغيير .الآن، عندما يقول .الجوهر، أو المَثَل، تذكر أن الجوهر يشير ببساطة إلى الشيء

.الجوهر، ما هو عليه حقاً .إذن جوهر الشيء، طبيعته، شكله .هذا أحد الأسباب

ثم الطبقة الأساسية، وهي المادة التي يتم التأثير عليها .المادة، السبب المادي .مصدر التغيير، نعم، السبب .الفعال

ثم الغاية، والنهاية الحسنة، والسبب النهائي .إذن لديه هذه الأربعة .وتلاحظ أنه ينتقل في الفقرة التالية .لمناقشة الفلاسفة الأوائل الذين اعتقدوا أن مبادئ طبيعة المادة هي المبادئ الوحيدة، والأسباب الوحيدة

وهكذا ينتقل إلى دراسة فلاسفة ما قبل سقراط .في الصفحة 302، في منتصف العمود الأول، نجد هذا التصريح، حيث قال أحدهم إن العقل موجود في كل مكان في الطبيعة .وتشير الحاشية رقم 11 إلى .أناكسغوراس

تذكر أناكسغوراس وبذوره الكثيرة والمتنوعة، المرتبة بتناغم وفقًا للعقل والمنطق والفكر .إذن، ثمة تلميح إلى .السببية الشكلية .ثم ينتقل للحديث عن إمبيدوكليس

وفي الفصل الخامس، الفقرة 303، يُسلَّط الضوء على الفيثاغوريين .وفي الفصل السادس، الفقرة 305، يبرز .أفلاطون

ولاحظ أن مناقشته لأفلاطون لا تطول، ففي بداية الصفحة 306، يبدأ بالتساؤل عن طبيعة المشاركة .يقول .إن الفيثاغوريين يقولون إن الأشياء موجودة بتقليد الأعداد، بينما يقول أفلاطون إنها موجودة بالمشاركة

لكن ما هي طبيعة المشاركة أو التقليد، تركوا سؤالاً مفتوحاً .هذه هي المشكلة الكبرى .كيف تشارك الجزئيات في الأشكال؟

ما العلاقة بين الاثنين؟ ثم يتابع من هناك، في الصفحة 306 .ومرة أخرى، لتوضيح الأسباب الأربعة في الفصل السابع، يعود إلى أولئك الذين يتحدثون عن المبدأ الأول للمادة .في الفقرة القصيرة المكونة من أربعة أسطر في الصفحة 307، مصدر الحركة، سواء أكانت صداقة أم نزاعًا، كما في حالة إمبيدوكليس أو غير ذلك، هو .السبب الفاعل

ثم يأتي جوهر الموضوع أو شكله في الفقرة التالية .ثم يتبع ذلك الغاية المتعلقة به .وهكذا يتضح ما يسعى إليه . جلياً مراراً وتكراراً

.والآن، انتقل إلى الأمام، أو نعم، أعتقد أنه يجب الانتقال إلى الفيزياء ، إن صح التعبير .الصفحة 381
.وستلاحظ نفس الشيء مرة أخرى

يبدأ الفصل الثامن من الكتاب الثاني في الفيزياء بالقول إنه يجب علينا الآن أن نفكر في سبب تصنيف الطبيعة .ضمن الأسباب النهائية والغاية .حسنًا .هناك غاية طبيعية، وهدف، وجوهر مُحقق في كل ما في الطبيعة

ويجب أن نتأمل في المقصود بالضرورة عندما نتحدث عن الطبيعة .هذا واضح تمامًا .ويتناول القسم الممتد .من 381 إلى 384 هذا النوع من السببية النهائية

الفكرة هي أن أفلاطون جعل الشكل سببًا للنظام، وحاول بطريقة ما تفسير الفوضى والشر من خلال مقاومة ،عمليات الطبيعة للشكل .أتذكر قوله إنه بينما كان الخالق، كما لو كان، يُحكم العملية الطبيعية، فعندما تركها بدأت تتفكك .أترى؟

إذن، لدينا هذان المبدآن، الأول ثم الثاني، وهو ما يُسمى أحيانًا بالثنائية .لكن أرسطو لم يكتفِ بذلك .ما الذي يدفع الأشياء المادية نحو غاياتٍ حسنة ومنظمة وجميلة؟ إذا كانت المُثُل، كما قال أفلاطون، كياناتٍ متعالية لا تملك أي قوةٍ تُمارسها، وإذا كانت الأشياء المادية خالية من أي شكلٍ جوهري، فكيف تميل الأشياء المادية في تطورها نحو غاياتٍ حسنة تُحقق النظام والجمال؟ كيف يُمكننا تفسير التغيرات المنظمة والهادفة .من هذا النوع دون وجود شكلٍ مُباشر؟ إنه يتحدث عن الموهبة الفطرية للأشياء، عن غايةٍ داخلية

يتحدث عنها باعتبارها قوة طبيعية، وإمكانية طبيعية، تتحقق في هذه العملية، أي تحقق الإمكانية .وهي سمة . مميزة، وفقًا لأرسطو، لكل تغيير، ولكل عمليات التغيير، سواء كانت طبيعية أو اصطناعية، حسب الحالة .ولذلك، كما يقول، لا تخلق الطبيعة شيئًا في مكان ما دون غاية

.تخلق الطبيعة شيئًا بلا غاية .وفي موضع آخر، لا يخلق الله والطبيعة شيئًا إلا وله فائدة، وغاية، ووظيفة

حسناً؟ إذن، هو لا يرى الغاية فقط في البشر الذين يوجهون أفعالهم بوعي، بل يرى ما يشبه الغاية، وإن كانت غير واعية، في العمليات الطبيعية، عمليات الكائنات غير الواعية .ففي الطريقة العامة التي تُنتج بها مختلف أنواع العمليات غايات، نرى دليلاً على أنها هي الأخرى موجهة نحو غاية معينة .الآن، إذا كان هناك إذن .إمكانات طبيعية في كل شيء، فإن ما يفعله الفنان، ما يفعله الفنان، ليس الإبداع، بل الاكتشاف

اكتشاف الإمكانيات الكامنة في العناصر المادية لهذا العالم .الموسيقي لا يُؤلّف الموسيقى، بل يكتشف الإمكانيات الكامنة في فيزياء الصوت .أترى ؟ النحات لا يبتكر تصميمًا أو شكلًا، بل يكتشف إمكانياته في نسيج .الخشب أو ملمس الحجر، ويُجسّد تلك الإمكانيات

،يصبح الفن مسألة اكتشاف .هناك كتاب في النظرية الجمالية، حرره أستاذ سابق لي في الدراسات العليا .بعنوان "الإبداع والاكتشاف ."الإبداع والاكتشاف

،تتلخص أطروحته في أن الفن ليس مجرد إبداع .هذا هو التمجيد الرومانسي، الذي ساد في القرن التاسع عشر للقدرة الإبداعية البشرية وكأنها إلهية .ألا ترى؟ يكمن إبداع الفنان ببساطة في قدرته على تصور الإمكانيات .الكامنة في المواد

ولتحويلها إلى واقع ملموس .الاكتشاف .حسنًا، إن مسألة إمكانات الطبيعة الكامنة، وقوتها الداخلية، تعني أنه .لا شيء يحدث في الطبيعة بشكل عشوائي أو بلا سبب

أحيانًا، يكون تعقيد الأسباب، وخاصة الأسباب الفاعلة، كبيرًا لدرجة وجود أسباب عرضية، بالإضافة إلى ما ،يُعتبر مسارًا طبيعيًا للأحداث .وعند وجود هذه العمليات العرضية الخارجية، يُشار إليها بالصدفة .وهكذا .فإن وقوع حادث ما في طريق أحدهم إلى مكان ما هو محض صدفة

.لم يكن ذلك مقصوداً من الشخص .بل كان محض صدفة .والحدث الصدفة ليس حدثاً بلا سبب

الأمر ببساطة هو وجود تعقيد في الأسباب الخارجية، أسباب لا علاقة لها بالعملية الطبيعية التي بدأت، والتي تتدخل وتُنتج عواقب، بعضها ليس من الخير الذي كانت العملية تهدف إليه في الأصل .إن الحديث عن ،الطبيعة بهذه المصطلحات، من منظور العملية، يعني أنه ينظر إلى الطبيعة على أنها دائمة التغير والتطور .وأن الزمن جوهرها

وهنا، نجد تبايناً طفيفاً مع أفلاطون .يبدو أن أفلاطون ينظر إلى الزمن على أنه عابر، مجرد ظل، ظل متغيّر ومتحرّك للحظة الأبدية الثابتة الحاضرة دائماً .أما بالنسبة لأرسطو، فإذا كانت العمليات المتغيرة هي جوهر .الأشياء، فإن الزمن هو ببساطة الوسيلة التي نقيس بها هذه العمليات

يُطلق على الزمن مقياس الحركة .ولذا نتحدث عن السفر بعدد معين من الأميال في الساعة .هل فهمت؟ .أميال في الساعة، أو أقدام في الثانية

الزمن .وهذا الوعي بالزمن كسلسلة متصلة يمكّنه من الإجابة على مفارقات زينون .أتتذكر؟ الأرنب الذي لا يلحق بالسلحفاة ؟ الدجاجة التي لا تعبر الشارع؟ أجل، لأنه بما أنه لا يوجد شيء اسمه حركة مطلقة، بل حركة مرتبطة بالزمن، فقد أغفل زينون عامل الزمن، واكتفى بالنظر إلى قفزات الكنغر، بدلاً من عدد القفزات .في الدقيقة أو الثانية أو الساعة

.تبرز أهمية ما يقوله عن الطبيعة .وقد ساد الرأي الأفلاطوني والأرسطي طوال العصور الوسطى

لذلك، كان يُعتقد أن لكل شيء نظاماً طبيعياً، وأن لكل عملية طبيعية غاياتها وأهدافها المحددة، وأن هذه .الغايات والأهداف تتحقق في سياق الطبيعة

يبدو أن موارد الطبيعة نفسها هي التي تُسيّر شؤون العالم .وهذا ما اعترض عليه بعض اللاهوتيين والفلاسفة .في أواخر العصور الوسطى .فقد زعم ويليام الأوكامي أن هذا يمنع سيادة الله على ظواهر الطبيعة

هذا يعني أن الله يجب أن يكون دائمًا خاضعًا لهذه الأشكال الجوهرية الثابتة .وبالمثل، تأثر مارتن لوثر بويليام الأوكامي .وأعتقد أن جون كالفن أيضًا، وإن لم يكن متطرفًا مثل لوثر أو أوكامي، أكد على السيادة المباشرة لله .وقدرته الفائقة

بدلاً من العمليات الطبيعية التي خلقها الله بقوتها الذاتية .لذا، انتبهوا لهذا الأمر أثناء سيرنا .في حين أن نموذج أفلاطون وأرسطو للأشكال الحقيقية العاملة، يوفر إطارًا مفاهيميًا قويًا للاهوت اليهودي المسيحي والإسلامي .طوال العصور الوسطى

،كما كانت محور معارضة كبيرة في أواخر العصور الوسطى .وسنضطر إلى تتبع هذا النوع من الأمور .حسنًا .هل لديكم أي أسئلة حتى الآن؟ هذه هي الأسباب الأربعة

هل هذا واضح يا ديفيد؟ عندما تحدثت عن الصدفة، قلتَ إن هناك أسبابًا خارجية .من أين أتت؟ من .الطبيعة، من عمليات الطبيعة .يمكنك النظر إلى الأمر بهذه الطريقة

هذه إحدى العمليات الطبيعية التي تتطور فيها البعوضة وتنتشر .وهذه عملية طبيعية أخرى تتطور فيها .الإنسان، وتشق طريقها في أمسية صيفية .تتقاطع العمليتان، وأنت تعرف ما يحدث

تتعرض للدغة .الآن، البعوضة وما تفعله أمران لا علاقة لهما بطبيعة الإنسان الأساسية .هناك أسباب .جوهرية ضرورية

وهناك أيضاً أسباب عرضية خارجية .وهذه الأسباب العرضية الخارجية هي التي تُنتج ما يسميه بالعرضي بدلاً .من الجوهري .وهذا صحيح

كما تعلم، يمكنك التحدث بهذه الطريقة عن نمو الإنسان أيضًا .ما المثال الذي أريد ذكره؟ نعم، النظام .الغذائي الذي كانت تتبعه والدتك أثناء حملها بك .يؤثر ذلك على شكل جسمك لاحقًا

حسنًا، لقد وصلت العملية الوراثية الطبيعية إلى نهايتها .ولكن هناك عمليات عرضية تؤثر على نظامها الغذائي، وبالتالي تؤثر عليك .يمكنك اعتبار كلمة "سبب "التي استخدمها بهذا المعنى الواسع مرادفة ."لمصطلح "مبدأ

حسنًا .الآن، هل تتذكرون أنه قال إن العلم يهتم بالمبادئ الأساسية للعلم ؟ ما هي هذه المبادئ الأساسية؟ .حسنًا، ما يرغب العالم في فعله هو فهم، على سبيل المثال، في علم الأحياء، الطبيعة الجوهرية للحياة

حسناً .علم الأحياء، حرفياً، هو علم الحياة .طبيعة الحياة، وأرسطو، بالمناسبة، كان من أنصار نظرية الحياة .الحيوية

.الحياة في جوهرها شيء مختلف عن العمليات الكيميائية المادية .حسناً .إنه يريد أن يفهم طبيعة الحياة

.يريد أن يفهم العناصر المادية المعنية .يريد أن يفهم العمليات السببية بمعناها، والقوى المؤثرة .حسناً

يريد أن يفهم، وأن يكون قادراً على إدراك الغاية والهدف .إلى ماذا تؤدي هذه العملية البيولوجية بشكل طبيعي؟ لذا، يحاول العالم فهم هذه المبادئ كما يمكن تعريفها ضمن هذا العلم تحديداً .مفهومه للعلم هو . أنه إذا أمكن صياغة هذه المبادئ، فإنه يمكن استنتاج أمور كثيرة حول حالات معينة

إذن، نموذجه للعلم يقوم على صياغة المقدمات واستخلاص النتائج .حسنًا .لقد ساد هذا المفهوم للعلم .حتى بداية المناهج التجريبية في القرن الرابع عشر

حسنًا .وقد تم تعديله، ثم تبنيه، ثم تعديله مرة أخرى من قبل ديكارت، الذي اتخذ من التفكير الرياضي .نموذجًا للعلم .حسنًا

تتحول المبادئ الأولية إلى بديهيات، حقائق بديهية تُستخلص منها شتى أنواع الاستنتاجات، كما هو الحال في .الهندسة .لذا فهي ذات تأثير بالغ في فلسفة العلوم .والآن أقول إنه يمكنك اعتبار الأسباب مبادئ أولية

يمكنك تجربة مرادف آخر .إنها عوامل تفسيرية .لذا فهي تُستخدم لتفسير أي نوع من التغيير، سواء كان .فيزيائيًا أو بيولوجيًا أو اقتصاديًا أو سياسيًا أو أخلاقيًا، أيًا كان نوع عملية التغيير

تبحث عن أربعة أنواع مختلفة من العوامل .عند تفسير أي شيء ظهر، مثل نظام القانون، تدخل أربعة عوامل .في الحسبان .وقد استقى توما الأكويني هذا من أرسطو

لذا، يُعرّف توما الأكويني في رسالته عن القانون القانون بأنه نظام العقل .هذه هي الغاية الشكلية .أما الغاية .النهائية فهي تحقيق الصالح العام

،صنعه من يملك السلطة والنفوذ، وهذا هو السبب الفعال .أما بالنسبة للمجتمع، فهو السبب المادي .والآن .تتكرر الأسباب الأربعة نفسها

عندما يتحدث توما الأكويني عن الخلق الإلهي، فإنه يشير إلى أن للخلق علة فاعلة، وهي الله .وللخلق علة .صورية، وهي حكمة الله .وهذا ما يحدد جوهره، ألا وهو أن يكون مثل الله

له غاية نهائية، وهي أن يكون مثل الله في كل تفاصيله .لكن ليس له سبب مادي .الخلق كان من العدم، من لا .شيء

حسناً، هذا هو استخدام توما الأكويني له .لكن هذا الإطار كان سائداً في الفكر الوسيط حتى ظهور العلوم .الميكانيكية، أي الثورة العلمية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر

وما يحدث هناك، أعتقد أنه واضحٌ تماماً .لأن هذا العلم الميكانيكي يقبل السبب الفعال، نعم، القوى .ويقبل .السبب المادي، نعم، جسيمات المادة

المادة والحركة، المادة والقوى، الفيزياء النيوتونية .لكنها لا تهتم بالأسباب الصورية أو الغائية .لذا، من وجهة .نظر أرسطو، فإن العلم النيوتني ليس سوى نصف علم

.ثم تأتي الخطوة التالية المثيرة للاهتمام مع تطور المنهج التجريبي بعد نيوتن، على يد علماء مثل ديفيد هيوم .يقول هيوم إنه يعتمد على المنهج التجريبي، باستخدام أساليب تجريبية بسيطة

ليس لدينا معرفة بالأسباب الفاعلة، ولا بالأسباب المادية .فماذا كانت نتيجة هيوم؟ التشكيك في كل ما .نعرفه عن الطبيعة .لا نعرف شيئًا عن الحقائق خارج نطاق تجربتنا الحالية

لكن نقطة البداية للنقاش برمته هي أسباب أرسطو الأربعة .هل هذا مفيد؟ إجابة مطولة لسؤال قصير يا .كارل .هل من شيء آخر؟ حسنًا، لننتقل إلى الخطوة التالية

.تمريني هو محو هذه اللوحات .الوجود وفئاته .الميتافيزيقا، كما أخبرنا، هي علم الوجود

.علم الوجود .لكن ما يميز أرسطو، هنا أيضاً، هو التساؤل عما نعنيه عندما نقول إن شيئاً ما موجود

.تحدث عما هو كائن .انسب الوجود إلى شيء ما .لاحظ أن فكرة الوجود تُستخدم بطرق مختلفة ومتنوعة

،ويشير إلى هذه الطرق المختلفة التي نفكر بها في الوجود باسم فئات الوجود .فئات الوجود .أو، إن شئت .طرق مختلفة نفكر بها فيما هو كائن

،لكن هناك أيضًا طرق مختلفة لوجود الأشياء .حسنًا؟ الآن، إحدى هذه الطرق، وهي الطريقة الأساسية .لوجود الأشياء هي كجواهر .وهذه هي فئته الأولى

المواد .لذلك عندما نتحدث عن الأشياء، نحاول تحديد جوهر المادة .ولكن هناك طرق أخرى كثيرة يمكننا .من خلالها التحدث عن الأشياء الموجودة

.انظر إلى الصفحة 314 .ولاحظ قائمة الفئات التي يقدمها لنا .314

هذا في الكتاب الرابع من كتابه "الميتافيزيقا"، الفصل الثاني .وفي أعلى الصفحة، يقول " :هناك معانٍ عديدة ."يمكن أن يُقال عن الشيء من خلالها، مع أنها جميعًا مرتبطة بنقطة مركزية واحدة

.نوع واحد محدد من الأشياء .ولم يُذكر ذلك بمجرد غموض .وقد أوضح ذلك في منتصف المقال

يُقال إن بعض الأشياء موجودة لأنها مواد، وبعضها الآخر لأنها صفات للمواد، وبعضها الآخر لأنها عملية .تؤدي إلى المادة

التدمير أو حرمان المادة أو خصائصها .إنتاج المادة أو توليدها .أو الأشياء ذات الصلة بالمادة من حيث .علاقتها بها

،أو نفي أحد هذه الأشياء أو بعضها فيما يتعلق بالجوهر .يشير إلى أنواع عديدة ومختلفة من الكائنات .وهذا .جزئياً، يعكس ببساطة اهتمامه العلمي الموسوعي

.محاولة تصنيف كل شيء نقول عنه .إنه أسود .هذه صفة

.إنها مستديرة .هذا شكل .إنها هناك

.هذا موقع مكاني .كان هنا .هذا مرجع زمني

.وهكذا دواليك .طرق مختلفة نعبر بها عن ماهية الشيء .لكن هذه ليست مجرد تصنيفات فكرية

نعم، إنها تصنيفات فكرية .لكنها أيضاً تصنيفات وجودية .بعبارة أخرى، الأمر ليس مجرد لعبة تخمينية .للأفكار

.يعتبر هذا وصفاً للواقع .أترى ؟ نحن نميز بين الأشياء في أذهاننا، لكنها تمييزات حقيقية

إذن، هذا الأمر يتعلق بعلم الوجود .سواء أكان الحديث عن كائنات بيولوجية، أو كائنات مادية بحتة، أو كائنات تاريخية، أو كائنات اقتصادية أو سياسية، فهناك تصنيفات للوجود بوصفه وجوداً .علم الوجود هو .من يُميّز بين هذه التصنيفات

لكن هذا ليس ...دعوني أتطرق إلى هذه النقطة للحظة .عندما نتحدث عن منطقه، سنعود إلى هذه .التصنيفات .لأنه يصر بشدة على أنه من السهل إغفال عنصر مهم في عملية التفكير، في عملية منطقية

،والانتقال من الحديث عن الانتماء إلى فئة معينة، ثم البدء دون وعي بالحديث عن الانتماء إلى فئة أخرى .يُعدّ تلاعبًا بالألفاظ، واستخدامًا للمصطلح بمعنيين مختلفين .وهذا أمر بالغ الأهمية

هذا يُخالف القوانين الأساسية للفكر، وأهمها قانون عدم التناقض، أي أن الشيء لا يمكن أن يكون شيئاً ولا يكون شيئاً في الوقت نفسه ومن نفس المنظور.

لكن إذا غيرت طريقة حديثك عن الأمر، فأنت تتحدث عن شيء مختلف .أنت تُراوغ .الآن، بالإضافة إلى فئات الوجود، لاحظ أنني قلت للتو إن لديه قوانين وجود تتطابق تمامًا مع قوانين الفكر.

قوانين الفكر التي تُقابل قوانين الوجود .انتقل إلى الصفحة 316، حيث يتحدث، في الواقع، الصفحات العشر التالية، عن القانون الأساسي للفكر، قانون عدم التناقض .أي أن الشيء لا يمكن أن يكون موجودًا وغير موجود في الوقت نفسه وبالطريقة نفسها.

لا يمكن لشيء أن يكون موجودًا وغير موجود في الوقت نفسه وبالطريقة نفسها .ويُطلق على هذا المبدأ اسم المبدأ الأكثر يقينًا "في منتصف العمود الأول في الصفحة 317 .وهو المبدأ الأكثر يقينًا على الإطلاق، والذي يستحيل الخطأ فيه.

لأن مثل هذا المبدأ يجب أن يكون معروفاً تماماً وغير افتراضي .مبدأ يجب أن يمتلكه كل من يفهم أي شيء موجود .مبدأ يجب أن يعرفه كل من يعرف أي شيء.

من الواضح إذن أن هذا المبدأ هو الأكثر يقيناً .وهو أن الصفة نفسها لا يمكن أن تنتمي في الوقت نفسه إلى الموضوع نفسه وبالطريقة نفسها، ولا يمكن أن تنتمي إليه في الوقت نفسه .وهذا هو بيانه الكلاسيكي لقانون عدم التناقض.

لا يمكنك أن تكون طويلاً وقصيراً في الوقت نفسه وبنفس المنظور .لا يمكنك أن تكون هنا وغير هنا في الوقت نفسه وبنفس المنظور .قد تقول إن عقلي شارد في مكان آخر، لكن جسدك موجود هنا بالتأكيد في الوقت نفسه وبنفس المنظور.

لذا، فهو مُصرٌّ على ذلك بشدة .ويضيف أنه في أعلى العمود الثاني، يستحيل على أي شخص أن يعتقد أن الشيء نفسه صحيح وغير صحيح في الوقت نفسه .أن يكون صحيحًا وخاطئًا في الوقت نفسه ومن نفس المنظور.

إما أن يكون صحيحًا أو خاطئًا .لا يمكن أن يكون كلاهما في الوقت نفسه ومن نفس المنظور .أحيانًا ، عندما تسألني سؤالًا، قد تسألني" :هل الأمر هكذا أم لا؟ "وقد تلاحظ أنني سأجيب بنعم، لأنني أريد أن أجعلك تعتاد على التفكير بأنه يمكن أن يكون صحيحًا أو خاطئًا من جوانب مختلفة.

من جوانب مختلفة .لكن ليس في الوقت نفسه وبالجانب نفسه .حسناً؟ الآن، السؤال هو :هل يمكن إثبات مبدأ كهذا؟ هل يمكنك تقديم دليل على هذا القانون المنطقي ؟ قال :حسناً، لا، لا يمكنك ذلك بالمعنى المعتاد للإثبات الإيجابي.

لأنك مضطر لافتراض قانون المنطق لإثبات قانون المنطق .ولكن، بينما لا يمكننا تقديم برهان إيجابي دون الوقوع في حلقة مفرغة، فإنه يقدم برهانًا سلبيًا .برهانًا سلبيًا.

يقول لوك، في الصفحة 318، في منتصف العمود الأول، إن نقطة انطلاق هذا النوع من الجدال ليست أن يقول الخصم شيئًا ما صحيحًا أو خاطئًا، بل أن يقول شيئًا ذا مغزى .قل شيئًا ذا معنى .إذا كان سيقول شيئًا حقًا، فهذا ضروري، أليس كذلك؟ إذا لم يكن كلامه ذا معنى، فهو غير قادر على التفكير المنطقي، لا لنفسه ولا لغيره.

إذا سلّمنا بهذا، فسيكون البرهان ممكناً، لأننا نمتلك بالفعل شيئاً مؤكداً .ليس المسؤول عن البرهان من يُبرهن، بل من يستمع .فمع أنه ينكر العقل، إلا أنه يستمع إلى العقل.

.وهكذا .الآن، العمود التالي، إلى اليمين .فلنفترض إذن، كما قيل في البداية، أن للاسم معنى واحداً فقط

.إذن، من المستحيل، بافتراض أن لكلمة "رجل "معنى واحداً فقط، أن يعني كون المرء رجلاً عدم كونه رجلاً أترى ؟ لا يمكن أن يعني ذلك شيئين متناقضين .وإذا كان كون المرء رجلاً لا يعني عدم كونه رجلاً، فلا يمكن .للمرء أن يكون رجلاً ولا يكون رجلاً في الوقت نفسه وبالمعنى نفسه

.مغزى كلامه هو هذا بخصوص المظاهرة السلبية .حاول أن تقول شيئاً .أي شيء

.حسناً؟ كارل، قل شيئاً .اقتراحاً، تأكيداً .السجادة حمراء

السجادة حمراء .هل تقصد أن السجادة حمراء أم أنها ليست حمراء؟ إنها حمراء .أنت تقصد أنه لا يمكن أن .تكون حمراء وغير حمراء في الوقت نفسه وبنفس الطريقة

،أنت تفترض ذلك .الآن، لنفترض أن كارل قال إن قانون عدم التناقض خاطئ .كما ترى، وأود أن أقول له :كارل .هل تقصد أن قانون عدم التناقض خاطئ؟ أم تقصد أنه ليس خاطئًا؟ إما أنه خاطئ، أو أنه ليس خاطئًا

لكن إن قلتَ إنه ليس خطأً، فأنت لا تعني أنه ليس خطأً .أترى ؟ إذا كان قانون عدم التناقض خاطئًا، فلكي .تُثبت ذلك، عليك أن تُنكر خطأه .لا يمكن أن يكون خاطئًا وصحيحًا في الوقت نفسه ومن نفس المنظور

إذا كنت تقصد أنها خاطئة وصحيحة في آنٍ واحد، فأنت لا تقول شيئًا ذا معنى .لا أفهم ما تقصده .بعبارة .أخرى، لكي تقول شيئًا ذا قيمة، عليك أن تفترض وتلتزم بقانون عدم التناقض

أتعلم؟ ليس عليك فقط افتراض الأمر لتجادل فيه، بل عليك افتراضه أيضاً لتنكره .أترى ؟ وإذا كان إنكار الأمر متناقضاً في حد ذاته، لأنك مضطر لافتراضه لكي تنكره، وإذا كان إنكاره متناقضاً في حد ذاته، فلا يوجد .إلا بديل واحد .لا بد أنه صحيح

أترى ؟ صِغ ذلك في صورة قياس منطقي انفصالي بسيط .قانون عدم التناقض إما صحيح أو خاطئ .إذا تبيّن أن الادعاء بأن قانون عدم التناقض خاطئ هو تناقض ذاتي، أي إذا كان الكذب متناقضًا ذاتيًا لأنه يتطلب .افتراض قانون عدم التناقض لنفيه ، حسنًا؟ إذا كان الكذب متناقضًا ذاتيًا، فإن الكذب نفسه خاطئ

والبديل الوحيد إذن هو أن القانون يجب أن يكون صحيحًا .لا بديل آخر، أليس كذلك؟ إذا كان تأكيد الزيف ينطوي على تناقض ذاتي، فإن تأكيد الزيف نفسه زائف .وإذا كان تأكيد الزيف زائفًا، وإذا كان الزيف زائفًا، فمن .المنطقي أن يكون الأمر صحيحًا

هذا هو برهان أرسطو .يسميه برهانًا سلبيًا لقانون عدم التناقض .وهو يتحدى أي شخص، وأنا أيضًا، أن يقول .أي شيء يخالف قانون عدم التناقض ويكون له معنى

.يقال أحياناً إن الفكر الشرقي يفعل ذلك .أرنا .أرنا شيئاً ذا معنى

بالتأكيد، قد يتفوه الناس بكلام مبهم لا معنى له، لكن أرونا شيئًا ذا معنى .قد يكون هذا صحيحًا وخاطئًا في آنٍ واحد ومن نفس المنظور .والآن، يقول البعض إن هيغل، بأطروحته الجدلية ونقيضها وتوليفها، ينكر قانون عدم التناقض.

لا يسعني إلا أن أقول إنهم لم يقرأوا منطق هيجل قط .لأنه صراحةً، لا ينكره، بل يقول ببساطة إنه أمر تافه.

الأمر بسيط، لأنه عند التعامل مع عملية تاريخية، لا نتعامل مع الأحداث في الوقت نفسه، بل في أوقات مختلفة .لذا، تنطبق الفكرة الأساسية في وقت ما، وفي وقت لاحق، قد ينطبق نقيضها .أترى ؟ إذن، يمكن أن يكون لديك "أ "و"لا أ"، لكن في أوقات مختلفة، وليس في الوقت نفسه، ومن نفس المنظور.

كان هيجل مهتماً بالأزمنة المختلفة .لقد كان يكتب فلسفة التاريخ .لذا فإن قانون عدم التناقض أساسي بالنسبة له.

وكل منطق مبني على ذلك .كل تواصل، تواصل معرفي، وكل استخدامات للغة، مبنية على ذلك .قانون عدم التناقض.